

## حركة اصلاحية بفاس

خاتمة : التجربة المصرية ؛ معنى هذه التجربة ومداهما

ان هاته الاصلاحات لا يمكن ان تعتبر الا حالات مؤقتة لتطور  
تريد حيرات المحافظين اقضاء اجله ويعني انصار الحركة النسائية  
بالتجازه في اقرب وقت ، ولا زالت مسائل كثيرة تنتظر فصلاً  
نهائياً كمتعدد الزوجات والاحتياطات المتعلقة بشهار الزواج  
وبينة الطلاق ومعاقبة اهمال العائلة ونجاح التعليم النسائي وغير  
ذلك ، وجل هاته المسائل التي لها اهمية عظيمة فيها تتعلق بحياة  
مصر الداخلية تساعد على رسم سير التطور الذي توجه اليه  
مشاهدة الوقائع في حد ذاتها الاسلام ، فهل يتجه الاسلام الى  
تقوية قواعده الاجتماعية والاساسية الكافية منطقياً لتجهيز حكومة  
دينية جامعة ومسيطرة على نمط الوهابية ؟ أو هل يتجه الى طريقة  
التوفيق المنشودة من مذهب التجديد الاسلامي الذي يبحث عن  
التوفيق بين وفاء للعاضي واصلاح يتوخى المناسبات وبين تضامن  
عام وحركة قومية وبين ثبوت شريعة منزلة ورغبات حالية على أن  
المذهب المذكور كحل المذاهب التي ترمي الى التوفيق فهي تبين  
المشاكل أكثر مما تحلها ؟ بل أليس من الراجح ان الاسلام يتجه  
شيئاً فشيئاً ومن غير أن يشعر بذلك اهله الى أن لا يبقى الدين  
الاصل المنظم لكل حياة اجتماعية وشرعية ويصير فقط شعوراً  
بتضامن ديني واخلاص سياسي ومثل أعلى لحياة اخلاقية وبذلك  
يكسب في المعنويات ما يضيعه في الماديات ؟

وكيفما كانت الفروض التي ترد على الذهن والتي يرجع الخيار  
في شأنها الى المسلمين خاصة لان المسلمين وحدهم لهم الحكم في  
شئونهم الدينية ومعرفة ما يصلح وما لا يصلح فاننا فيما يتعلق بنا  
ننبه بغاية التأكيد الى ضرورة التعجيل بازال افريقيا الشمالية  
دائماً في منزلتها داخل الكل التي هي بعض منه مع الاحتياط من  
المغالاة في اعتقاد وحدة العالم الاسلامي أو في تنوعه ومن الوقوع  
في تقرير جامعة اسلامية على القياس المنطقي أو في الاعتماد على  
التقسيم الاداري الذي يفصل الآن اطراف العالم الاسلامي لحصر  
المشاكل في الاقاليم حصراً ضيقاً عقيماً فبالنظر في التجارب التي  
حاولتها منذ ربع قرن الاقطار العربية بالشرق الادنى تتمكن من  
جمع أطراف المسألة الاهلية ومن هاته التجارب نستمد - لا قواعد  
موجودة - ولكن معلومات قيمة من شأنها ان تعين على حل  
بعض المشاكل الحالية بافريقية الشمالية وربما كانت أعظم اعانة لنا في  
الاستعداد لحل المشاكل التي يوردها حتماً قانون التطور المطرد.

لقد سبق لعاصمة المغرب العلمية في سنة ١٣٤٥ أن قامت  
بحركة مشكورة لابطال بعض العوائد في الاعراس والمآتم وغيرها  
وبالاخص ما يتعلق منها بالمغالاة في النفقات وما يقع فيها من  
تنافس ومباهاة بين العائلات ولا يخفى ما ينتج عن ذلك من اضرار  
حتى ان الزواج صار يؤدي في بعض الاحيان الى خسارات باهظة  
تهدم كيان الاسرة وحتى ان بعض الآباء يمسكون عن تزويج بناتهم  
وبعض الرجال عن الزوج بسبب قلة ذات اليد او هروباً مما يستلزم  
هذا العمل الديني والاجتماعي معاً من التكاليف التي لا يقدر  
عليها او يستنكفون من تحملها ، الامر الذي تنبه اليه المسلمون  
في كثير من الاقطار وحاولوا اصلاحه بما يناسب كل قطر وما  
يجري فيه من عوائد وتقاليد ، والحق ان كثرة الانفاق من جانب  
الاغنياء قد يكون مستحسنًا اذ ان من قواعد الاجتماع المسلمة ان  
ذا المال ينبغي له ان ينفق ماله عوض ان يخزنه لما في انفاق الاغنياء  
من فائدة ترجع على التجار واهل الحرف والصنائع وغيرهم من  
الناس ، كما ان المبالغة في اشهار الاعراس فيها اعلاء لشأن النساء  
وكل شيء في حق النساء وما يمثله في المجتمع قليل ، ولكن  
احوال المسلمين في هذا العصر تستلزم تفكيراً خاصاً ، فاذا كان  
الاروبيون يسرون عادة في حفلاتهم على حسب ما تسمح به الطاقة  
فان المسلمين قليلاً ما يراعون تفاوت الطبقات وكثيراً ما يشاء  
متوسط الحالة فيهم مثلاً ان يقلد المثير وتحاول العامة ان تجاري  
الخاصة ، ولعل من اسباب ذلك تريتنا الديمقراطية القديمة التي  
بقي أثرها في النفوس رغم ما أتى على هاته التربية مع الاسف من  
عوامل دنيوية وتقاليد ، ثم داء الجهل الذي لا يبقى معه للانسان  
عقل يميز به ولا روح تمدد الحياة ولا عين يبصر بها ولا يد تتحرك  
ولو لدفع أذى ، ومن اسباب ذلك ايضاً سقوط المرأة التي بلغ بها  
الجهل الى حد انها صارت لا تعرف ما يخرج عن دائرة بيتها ولا  
تعلم شيئاً من احوال الدنيا ، فهي ترى غالباً ان زوجها قادر على  
كل شيء فاذا كانت احتفال او غير ذلك طالبت به بكل ما رأته في  
المنازل الاخرى من عوائد وحملته ما لا يطيق ، فتقليد العامة  
للخاصة يبرر تقييد حرية الاغنياء في مجتمعنا خصوصاً وان العوائد

ارتكزت في النفوس الى حد انها أعمتها عن اقدس الواجبات وهي صرف المال في اغانة الضعفاء والاعانة على نشر العلم ، ففي مجتمعنا يبذل الرجل الاموال الباهظة في تزويج ولده ويمتنع من بذل قسط صغير من ذلك لارساله الى مدرسة بل يستقل اعطاء بعض قروش فقط في الشهر لواجب مدرس او شراء كتاب ، ويفرغ ذلك الرجل اكياس الذهب بين ايدي الشيوخ ويبخل بدرهم على جائع يجده على قارعة الطريق ، ففي اعانة المؤسسات الخيرية واثارة الافكار بنشر المعارف ميدان واسع للتنافس والتفاخر وفي هاته المكارم الحق ما يجلب للموسرين من الشهرة احسن مما يتطلبونه من تقاليد الاعراس زيادة على رضى الله وشكر الشاكرين ثم ينبغي ان لا ننسى ان الزواج اساس مغيبات من ظروف معايشة واولاد وغير ذلك وخير ما تحوط به الاسرة آمال الزوجين في الحياة اعمال خيرية تجلب لهما الدعوات وتنبث النشء في تربة طيبة من حنان ونور ، فلا بدع اذا اهتم سراة فاس بهاته المسالة الخطيرة وقد وضعوا في شأن الافراح والاقراح «ضابطاً» وان كان فيه شيء من التضيق ومبالغة في بعض التشكيات فهو علاج حسن.

ففي ٨ جمادى الاولى ١٣٤٥ الموافق ١٥ نوفمبر ٢٦ وجه قضاة العاصمة الادريسية وعلماؤها ووجهائها الى رئيس المجلس البلدي واعضائه كتاباً يلفتون فيه الى ما حدث بالمدينة : « في هذه السنين الاواخر وخصوصاً في هذه السنة الجارية من البدع في الافراح والاقراح مما يخالف شريعتنا المطهرة... وصار جل الناس يفخرون بسبب تلك العوائد وفي ذلك من الاضرار ما لا مثيل له ولا يزيد الا تفاحشاً كل يوم ان لم يتدارك ومن أجله المطلوب منكم ان تنظروا في ذلك وتجعلوه أهم أهميتكم وتعرضوا ذلك على السادات الحكام وتعينوا لنا معهم وقتاً للجمع معكم حيناً لهذا كره في دواء هذا الداء الخطير . وبأسفل الكتاب تعاليق من بعض المصنف تشير الى مقدار شدة استنكارهم للمحدثات ورغبتهم الاكيدة في الاصلاحات وتحمسهم في حمل الناس على جادة الحق كقولهم : « بل نقول ان تلك العوائد المحدثه التي لا تخفى وان شئتم بينها لكم لا تحل شرعاً وهي مفسدة للدين والدنيا وان كان الناس يحب عليهم تقليد علمائهم في امر دينهم ولا يجوز لهم الخروج عنه فها نحن نصدع بالحق ونقول ان ذلك حرام حرام حرام قال عليه الصلاة والسلام « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » فاتقوا الله يا معشر المسلمين في انفسكم وفي اولادكم وفي أهالي بلدكم واسعوا سعيكم كثيراً بالرغبة للحكام في قطع هذه البدع والسلام صح به محمد بن رشيد العراقي الحسيني كان الله له آمين

وعبد الحي الكتاني . وعبد العزيز بن محمد بناني لطف الله به . اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله . ان دام هذا ولم تحدث له غير ، لم يبك ميت ولم يفرح بمولود . عبد الله الفاسي لطف الله به . الخ . ووقعت اجتماعات بدار الحكومة وأصدر العلماء فتوى في ذلك جاء فيها : « ان كل ما يخالف الشريعة الحنيفية من البدع والمنكرات الموزنة باتلاف الاموال والتنافس والمباهاة مما حدث من المعضلات في ولائم الاعراس ونحوها وفي الجنائز وشبهها وشيوع الكهانة وما هو من شكلها مردود شرعاً ومؤد الى الافلاس والضياع طبعاً قال تعالى وهو أصدق القائلين « ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا اخواناً للفاطيين » ... وفي البيهقي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المتباهيان في الطعام لا يجابان ولا يوكل طعامهما » وفي مسند الامام احمد وصحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سمع ( بالتشديد اي نوه ) بعمله وشهره ليراه الناس سمع الله به ( اي شهره وفضحه ) في القيامة ومن رآه بعمله رآه الله به ( اي بلغ مسامع خلقه انه مراة مزور ) وأشهر ذلك بينهم » وأخرج الامام احمد والحاكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أتى عرافاً او كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم » ... فعلى الواقف عليه ان يقف في كل مالوفاته وعوائده على مقتضى ما حده له الطبيب الاعظم والناقد البصير الاعلم وسيرته وشأئله في ذلك أشهر من ان تعرف او تعلم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم قال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » ... وقد كان الامام مالك رضي الله عنه كثيراً ما ينشد :

وخير أمور الدين ما كان سنة      وشر الأمور المحدثات البدائع  
الخ . « يوم الخميس ١٧ جمادى الثانية ١٣٤٥ . وفي التاريخ نفسه قررت اللجنة المركبة من السادات القضاة والعلماء ورئيس المجلس العلمي ورئيس المجلس البلدي وأعضائه والاعضاء المزيدين عليهم من أعيان الاهالي للنظر في البدع المحدثه ومقاومتها واسقاطها جلها وادخالهم التحسين على البعض منها ما يكون عليه العمل والتمشي استقبالا ودواماً بحول الله . وقد يحتوي ما قرره اللجنة على بيان مفصل دقيق لكل ما يجري في الافراح والاقراح وغيرها معبراً فيه التعبير باللفظ الدارج في بعض ألفاظه لمخاطبة العامة وأهل حرفته بلغتهم التي يفهمون . » يتبع